مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية /المجلد 20/ العدد 2: 2012

نظام الوزارة في العصر العباسي

عباس كريم عبد
كلية التربية الاساسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خاتم النبيين الذي بعثه رحمة للعالمين وعلى اله الطيبين الطاهرين...

وبعد... تعد الادارة والمؤسسة الادارية ونظم الحكم في المجتمعات خير مقياس على مدى التطور والرقي الذي تبلغه هذه الامم، وفي هذا البحث الموسوم (نظام الوزارة في العصر العباسي) استعراض لنظرية الوزارة بأعتبارها ركن من اركان الدولة العربية الاسلامية وهي المؤسسة الدستورية الثانية في الدوله بعد الخلافة.

قسم هذا البحث الى ثلاثة مباحث، أولها اختص بالمذهب اللغوي للوزارة وأصل تسمية الوزير، وكيفية ظهور منصب الوزير، أما الثاني فأشتمل على الوزارة في العصر العباسي، فيما تناول المبحث الثالث مكانة الوزير في عهد التسلط الاجنبي فضلا عن انواع الوزارة...

كان عماد البحث بعد كتاب الله العزيز مصادر مهمة مثل سيرة أبن هشام وسيرته وابن خياط في تاريخه واليعقوبي في تاريخه والطبري في تاريخ الامم والملوك والهمداني في صلة تاريخ الطبري وابن الجوزي في منتظمة وأبن الاثير في كاملة وابن خلكان في وفياته وأبن طباطبا في ادابه السلطانية وابن منظور في لسانه والذهبي في عبره وابن كثير في تفسيره وابن خلدون في مقدمته والقلقشندي في مأثره وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ، ومن المراجع اليوزبكي وفاروق في نظمهما.

ويأمل الباحث أنه وفق في تسليط الضوء على هذا النظام المهم والحيوي من انظمة الادارة للدولة العربية الاسلامية...

المبحث الاول

الوزارة لغة

اشتقت لفظة الوزير والوزارة من كلمة الوزر، والتي تعني الملجأ، والجبل الذي يعتصم فيه الفرد لينجي من الهلاك ومنه قوله تعالى : ((كلا لاوزر))[١] فرئيس الدولة يلجأ الى الوزير ومعونته والوزير : هو المؤازر كونه يحمل عن السلطان وزر اثقال ما اسند اليه من تدبير شؤون المملكة[٢] ومنه قوله تعالى : ((حتى تضع الحرب اوزارها)) [٣].

اما ابن منظور[٤] فيقول في بدايات تسمية الوزير، في حديث السقيفة، وقال ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) للأنصار نحن الأمراء وانتم الوزراء، أراد بها المؤازرة للأمير ويحمل عنه أثقال الأمارة، ويلجأ اليه في رأيه وتدبيره، فهو ملجأ ومفزع.

ويضيف الماروردي فيقول ان الأزر هو الظهير فالحاكم يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره، وهكذا فأن كلمة الوزير جامعة لهذه المعاني كلها فالوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير في السياسة وملجأ عند النازلة.

أصل تسمية الوزير :

كلمة الوزارة لفظة عربية وكما جاء باصطلاحها اللغوي، كما انها وردت في القران في اكثر من موضع تأويلاً، لكنها وردت بشكل صريح بقوله تعالى (وأجعل لي وزيراً من اهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في امري)[٥]، كما وردت في قول زيد بن ثابت الانصاري حينما قال (نحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله)[٦].

كما استعملت كلمة الوزير في العهد النبوي الشريف كقول كعب بن مالك في قصيدته يوم إجلاء يهود بني النضير من المدينة [٧]

غداة أتاهم الزحف رهواً رسول الله وهو بهم بصير

وغسان الحماة فؤازروة على الاعداء وهو لهم وزير

وفي العهد الاموي وردت كلمة وزير في خطاب الضحاك الهلالي لإبن الحضرمي لما قدم البصرة يؤلب الناس ويحرضهم على الخروج عن طاعة الخلافة الراشدة بقوله (أفتأمرنا ان نختلع سيوفنا ثم نضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية اميراً وتكون له وزيراً..)[٨].

اما من يرجع اصل هذه الكلمة الى اصل ساساني، ففيه نوع من التجني على العرب على اساس ان كلمة وزير مشتقه من كلمة فشير الفارسية والتي تعني القاضي، وحورت لسهولة اللفظ الى كلمة وزير، مع العرض ان وظيفة القاضي ومهمته لا تنطبق تماماً على وظيفة ومهام الوزير، وان كان لابد من تصديق هذا الاشتقاق فكان الاحرى ان يؤخذ على وظيفة القاضي المشابهة لها ولو تتبعنا تسمية كلمة الوزير باللغة الفارسية لوجدناهم يسمونه (بزر حفر قدار) والتي تعني متقلد الامور، وهي لاتمت بصله من حيث اللفظ لكلمة الوزير[٩].

أما نظام الوزارة فهو عربي الاصل موجود قبل الاسلام بأسماء تختلف عن هذه اللفظة، فيروى ان هذا المنصب موجود في دولة المناذرة العراقية العربية، حيث كان متولي منصب الوزير يسمى (الردافة) له نفس اعمال الوزير يضاف الى انه رديف الملك الحيري أي ينوب عنه في المناسبات وبغيابه، وله مجلس خاص على يمين الملك[١٠]، ولأهمية هذا المنصب من المفيد ذكر الرواية التالية، كان للنعمان ابن المنذر ملك الحيرة في الردافة شخص من بني يربوع من تميم توارثوها صغيراً عن كبير، ويوماً اراد الحرث بن بيبة بن قرط بن شعبان الداري ان تكون له الرجافة وحاولوا استمالة الملك لذلك، وما ان عرف بنو يربوع بهذه الدسيسة حتى قامت بينهم الحرب ضروس انتهت بغلبة بنو يربوع وهم أنصار الملك وسميت هذه الوقعة بوقعة (طحفه)[١١].

ظهور وتطور منصب الوزير

نشأت نظرية الوزارة في الدولة العربية الاسلامية من اولويات بسيطة وتدرجت في التطور أسوة بالنظم الاخرى كالخلافة والولاية وغيرها، الا انها نضجت بشكلها الطبيعي من حيث صفات الوزير ومهامه ومؤهلاته بوقت متأخر، حدد هذا التطور بالاساس موقف الدولة من السعة والقدرة الاقتصادية والوضع السياسي وقوة السلطان وإضافة الى العصبية والتمدن وغيرها من الامور.

ومن المفيد بهذا المقام ان نستعرض هذه الوظيفة وأهميتها في بداية الدولة العربية الاسلامية، ففي العهد الاموي ظهر منصب الوزير بشكل واضح بخلافة عبد الملك بن مروان [١٢]، حيث كان يأخذ حاجبا له، وهو الوزير لكنه باسم الحاجب، ويرى انه اوصاه قائلاً : وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاث، المؤذن للصلاة، وصاحب البريد، الامر الذي يعني ان المنصب اعلى من منصب صاحب البريد، وصاحب الطعام، وكان واجبه ودوره ومهامه، أشبه بمهام الوزير التنفيذي، بعد ان استفحل السلطان تطورت الوظيفة لتظهر وظيفة المشاور، ثم

المعين في امور القبائل والعصائب، أطلق عليه اسم الوزير[١٣]، اما وظيفة الكاتب فلم تصل لدرجة الوزير او بالقرب منه كونه يختص بالكتابة والخط ولا حاجه له في اللسان، على هذا اصبحت الوزارة يومئذ ارفع مكانة ورتبة في سائر الدولة، واصبح النظر للوزير تماماً في اصول التدبير والمفاوضات وسائر امور الحمايات والثغور والمطالبات وما يتبعها في النظر بديوان الجند وفرض العطايا والهبات لهم [١٤].

أما في بلاد الاندلس فالحال يختلف عن مركز الدولة، حيث أنفوا أسم الوزير بمدلوله الاول (الحاجب)، على اساس ان صفة هذه الوظيفة فيها شيء من حط القدر، الا انه وبتقادم الزمن اصبح اسم الوزير معتاداً بعد ان أفردوا لكل صنف وزارة، فجعلوا لحساب المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللنظر في حوائج الناس والمتظلمين وزيراً، وللتنظير في احوال الثغور وزيراً أسس لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم [١٥]، ينفذون من خلال هذه الدار أمر السلطان، ثم أفردوا بينهم وبين السلطان شخصاً سمي الحاجب، له كبير الصلاحيات هو اشبه ما يسمى اليوم برئيس الوزراء، فكان منهم المنصور بن ابي عامر واولاده، وابن عباد وغيرهم[١٦].

وفي المغرب العربي (القيروان) في عهد دولة الادارسة لم يكن لمنصب الوزير أي أثر لرسوخ روح البداوة بهم، فأغفلوا هذا المنصب في دولتهم[١٧] وفي دولتي المرابطين والموحدين كان الحال في اوله كما كان في القيروان حيث روح البداوة راسخة فيهم، ويوحي من القراءة لمجمل الوضع العام إن السبب الرئيس هو روح التفرد بالسلطة والخوف من الصراعات والثورات التي كانت تحدث بشكل مستمر، إلا ان الامر تغير بمرور الزمن استخدم هذا المنصب حيث اتبعوا ذات النظام في الاندلس على الرغم من تأخر عصريهما الممتد من منتصف القرن الخامس الهجري، حيث اطلق على الوزير الحاجب، ثم صار يسمى صاحب الرأي والمشورة، ثم الشيخ، واصبح له رأي في النظر في الولايات وقيادة العساكر والحروب والحسبان[١٨].

المبحث الثاني

الوزارة في العهد العباسي

ما ان انتقلت الخلافه من الامويين الى العباسيين حتى بدأت ملامح الوزارة بالوضوح اسماً وعملاً، فاطلق على ابو سلمة الخلال صاحب الجيش العباسي الذي دخل الكوفة سنة ١٣٢هـ سمي (وزير ال محمد) الذي كان مشاور الخليفة السفاح، الا ان نفوذه السياسي اصبح واسعاً بحيث بات يهدد نفوذ الخليفة في انتزاع السلطة، ولم تكن الدواوين في يده حتى ديوان الجند لكنه كان بداية ظهور المنصب بشكله العملي [١٩]، بالرغم من ان سلطات الوزير كانت لاتتعدى المشورة وإبداء الرأي وتنفيذ اوامر الخليفة، وهذا الوضع يعد مظهراً لغموض وضع الوزارة بسبب التصادم بين الوزير والخليفة، الامر الذي شغل المنصب بعد الخلال كان لايرغب ان يطلق عليه اسم الوزير لما جرى للخلال [٢٠].

اما في خلافة المنصور (١٣٦هـ-١٥٨هـ) ولكونه من الخلفاء الاقوياء والحازمين ويتابع كل صغيرة وكبيرة الامر الذي حدد او غطى على دور الوزير، ولم يكن له وزير دائم بل كان يتخذ بين الحين والاخر الكتاب، على الرغم من ان سلطة الوزير كانت تنفيذية ومقيدة، ومن أشهر وزراءه أبو أيوب المورياني الذي خوله صلاحيات واسعة ومن ثم عزله وعاقبه [٢١]، ثم استوزر الربيع بن محمد بن الربيع ثم عزله وكليهما مولى لأبي جعفر المنصور [٢٢]، الامر الذي يعني ان الوزراء اغلبهم موالي لسهولة السيطرة عليهم ومحاسبتهم وكي لاتشفع بهم قبائلهم اذا لم يكونوا موالي.

اما المهدي (١٥٨هـ–١٦٩هـ) فكان عهده عهد استقرار نسبي من الناحية السياسية، وكانت له مشاغل بالاضافة للسلطة، لذلك ظهرت شخصيات وزراءه لاسيما الوزير يعقوب بن داود الذي بقي بالوزارة مدة اربعة سنوات وتبين للناس انه صاحب السلطة والأمر في الدولة، حتى قال الشاعر بشار بن برد :

بني أمية هبو طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود [٢٣]

حتى عزل عام ١٥٩هـ، وكان قبله ابي معاوية بن يسار الذي دامت وزارته أربعة اعوام وكان معروفاً بعدالته وعفته واستقامته وحكمته وإليه يعود ابتداع نظام المقاسمة في تنظيم الخراج وهذه إشارة الى تطور منصب الوزير وتوسع مهامه [٢٤]

اما في عهد الرشيد (١٧٠هـ–١٩٣هـ) ظهرت أبهة الوزارة وتطور المنصب واتسعت وازدادت اختصاصاته، فأصبحت الدواوين ودور الضرب تحت أشرافه، كما انيط به الجلوس بالنظر للمظالم، فاصبح العمال والولاة تحت رقابته، مما جعل الامور عامة تحت أشرافه[٢٥]، بالاضافة الى استعانة الرشيد بوزرائه من ال برمك الذين حصلوا على صلاحية التوقيع على ما يصدر من بيت المال وديوان الخراج والذي كان من حق الخليفة حصراً منهم يحيى وولديه الفضل وجعفر اللذان استأثرا بقربهم من الخليفة حتى دام حالهم بالسلطة سبعة عشر عاماً أي حتى عام ١٨٧هـ، بعد ان عاثوا فساداً بتصرفاتهم التي انذرت بخطر يهدد الدولة العربية الاسلامية حينها قرر التخلص منهم [٢٦].

وفي عهد الخليفة العباسي الأمين (١٩٣هـ–١٩٨هـ) كان الوزير الفضل بن الربيع يتمتع بصلاحيات واسعة حتى سمي بذي الوزارتين (أي الحرب والتدبير) وكانت وزارته وزارة تفويض، حتى اصدر له الخليفة كتاباً يقول فيه(قد جعلت لك مرتبة من تقول أنت ولي قيامها)، ولما أدرك الخليفة المأمون خطر هذا الوزير وتأمره على الدولة وحجب الأخبار عن الخليفة تخلص منه بسهولة [٢٧].

وممن جمع بين الوزارة والكتابة في عهد المأمون (١٩٧هـ–٢١٨هـ) الوزير محمد بن عبد الملك الزيات حيث كان هذا الوزير ذكياً فبرع بكل شيء حتى صار نادرة وقته عقلاً وفهماً.. وخبرة بآداب الرياسة وقواعد الملوك واستوزر للخليفة المعتصم، وكان الزيات شديد المراقبة للعمال ومحاسبتهم بشدة اذا ما فرطوا في اموال الدولة، وكان يباشر النظر في المظالم للتأكد من سلامة سير عماله [٢٨].

ولو انتقلنا الى عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢هـ–٢٤٧هـ) نرى بروز دور الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٢٤٠هـ) كان مشرفاً على ديواني الخراج والضياع واشرف على واردات أقاليم الدولة [٢٩].

كان ما تقدم استعراضا سريعا لبعض الوزراء المتميزين في العصر الاول من الخلافة العباسية التي شهدت تطوراً كبيراً في وظيفة الوزير ودوره الإيجابي في المساعدة والاشراف على إدارة الدولة والتي تعتبر عونا لمؤسسة الخلافة على الرغم من ان خواتيم بعضهم لم تكن كما ينبغي الا انهم اسدوا خدمة للدولة، هذا لايعني ان فترات التدخل (الفارسي والتركي) لم يظهر بها وزراء جيدين رفدوا نظرية الوزارة بما يطورها ويعزز مكانتها في النظام الاداري ولنا في هذا البحث ان نذكر بعض من تميز منهم لإتمام الفائدة منهم :

ابو صالح محمد بن يزداد وزير المستعين بالله ٢٤٨هـ – ٢٥٢هـ الذي عرف بالحزم والضبط، ووزير الخليفة المعتز احمد بن اسرائيل ألا نباري الامر الذي وصف بمعرفته مقدار ما يدخل ويخرج من بيت المال على ذهنه [٣٠] وابو الحسن علي بن الفرات وزير المقتدر والذي استوزر لثلاث مرات لحسن إدارته وتدبيره لامور العمال والولاة ومحاسبتهم عن مصادر أموالهم[٣١] وشخصية وزارية اخرى استوزرت في عهد المتوكل هو علي بن عيسى بن الجراح الذي تقلد الوزارة لمرتين، حيث رتب الدواوين وحاول المساعدة في تسيير الدولة لما يتمتع به من عفة وتدين وعقل راجح، فنظر في المظالم وانصف المتضررين بسبب الضرائب القاسية التي تفرض عليهم

(٣٢) كما برز الوزير علي بن الحسن بن احمد بن محمد بن عمر وزير القائم بأمر الله الذي رفع من شأن الوزارة من خلال ادارته الناجحة لأمور الدولة حيث كان ذو خبرة بالإدارة والرأي والفقه كان وقور صالحاً لقبه الخليفة القائم بأمر الله برئيس الرؤساء ولقب آخر حيث سماه شرف الشرفاء واستمر بالوزارة اثنتا عشر سنة حتى توفي عام ٤٥٠هـ (٣٣).

على ان الوزارة في عهدي التسلط الفارسي والتركي واستبدادهم بالسلطة ترك آثارا كان لها الأثر في تهديد أمن الدولة من خلال تأمر الوزراء أمثال بني برمك والربيع بن سهل حيث تشير بعض الروايات الى قيام الوزير الأخير بقتل القائد العربي هرثمة بن اعين غدرا في سجنه (٣٤)، ليوحي للآخرين بعلو شأنه في الدولة من ناحية وحقده على العرب وزعزعة الامن من ناحية اخرى، اما في فترة التسلط التركي والذي بدأ بعد عصر المعتصم ٢١٨هـ، حيث كان الاتراك هم من يعين ويعزل الوزراء لظهورهم كقوة سياسية وعسكرية الامر الذي اضعف مركز الخلافة والوزارة بحيث اصبح الوزير لا يملك الا سلطة الجباية والاشراف على الامور الادارية والتي تصب في مصلحتهم، وفسد النظام الاداري نتيجة لتسلط النساء والجواري ولتعدد الوزراء اذ ان اختيارهم بيد الاتراك ولم يجري على اساس الكفاءة (٣٥)، الا ان ضعف منصب الوزير اخذ يستمر، يقول ابن الجوزي فما مضت بضع سنوات حتى بدأت الوزارة تتضعضع ويتقلدها من ليس بأهل حتى كانت سنة نيف وثلاثمائة وثلاثون اذ تقلد الوزارة للمتقي بالله ابو العباس الأصبهاني فكان في غاية سقوط المروءة والرقاعة، ومن طريف هذا الوزير المحزن يستطرد ابن الجوزي قائلاً مررت يوماً بالسوق فرأيت قردا معلما يقول له صاحبه القراد، اتحب ان تكون بزازاً فيهز القرد رأسه بالايجاب، ويكرر فيقول اتحب ان تكون عطاراً فيعمل ذات الحركة، ثم يقول له اتحب ان تكون وزيراً فيهز رأسه بالقبول، فلم يضحك الناس، وكأنه من الامور العادية الحدوث في اسواق بغداد، ويروي انه يوما ولى قضاء بغداد بزازاً، اذ خرج من داره الى الوزارة فولاه (٣٦).

وفي عصر التسلط البويهي شهدت الوزارة عصرها المظلم حيث لم يكن اغلب الوزراء ممن يتصفون بالكفاءة الادارية والكتابية والمالية لذلك أسرف بنو بويه في تولية الوزارة وعزلهم في مدد قصيرة من حكمهم حتى أنه لم يتجاوز بعضهم اياماً قليلة (٣٧) اما في نظام إمرة الامراء كان للخليفة وزير وللأمير وزير بل اصبح تعيين وزير الخليفة بيد البويهيين(٣٨).

ومن المفيد ان نسلط الضوء على عصر التسلط السلجوقي من خلال الحادثتين التاليتين، وهي لاتحتاج الى شرح لتوضيح ما وصلت اليه الخلافة والوزارة، يروي ابن الاثير انه في عام ٤٥٤هـ تم عزل وزير الخليفة القائم بأمر الله المدعو ابو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة كونه قام باستئجار املاك الخليفة من بساتين وضياع الى ضامن يهودي بمائة الف دينار فكان من هذا المبلغ ثلاثين الف دينار صحيحة اما الباقي فكان مكسوراً (مغشوشاً ومزوراً) (٣٩)، والرواية الثانية تقول لما تزوج الخليفة الراشد بالله من فاطمة خاتون بنت السلطان السلجوقي مسعود لم يحضر السلطان ليكون ولي امرها بل حضر وزير الخليفة ليتولى امرها في الزواج (٤٠).

بعد هذا الاستعراض الموجز لنظام الوزارة وسير اشهر الوزراء سلباً او ايجاباً

يمكن تلخيص أسباب نشاط مؤسسة الوزارة بما يلي :

- قوة نفوذ الخليفة وسطوته مثل المنصور والرشيد والمأمون.
- الاستقرار السياسي العام للدولة.
- الازدهار الفكري والاقتصادي.

وبعكسه تكون مؤسسة الوزارة أداة او معول لهدم الدولة وتعمل على تجزئة وتقطيع اوصالها، وهدر واضعاف اقتصادها بل وصل الحال بالوزراء الى إسقاطها بيد الاعداء وهذا ما حصل من الوزير ابن العلقمي الذي خان الامانة بالاتفاق مع المغول (التتر) بغزو بغداد لاحتلال واستباحة حاضرة الامة العربية الاسلامية بل حاضرة الانسانية في العام ٦٥٦هـ – ١٢٥٨م.

المبحث الثالث

الوزير في عصر التسلط الاجنبي

بعد ان تعرضت الدولة العربية الاسلامية للسيطرة الاجنبية (الفارسية والتركية) وكما هو معروف قامت بسلب الخليفة العباسي الشرعي اغلب اذا لم نقل كل صلاحياته، وكان من بين ما سلب حقه في تعيين وزيرا له، فأصبح للأمير البويهي وزير وللخليفة كاتب، وكان الخليفة المطيع لله مسلوب الإرادة وليس له رأي في هذا الاجراء، بل يذكر ابن الاثير ان معز الدولة البويهي سلب منه كل سيء إلا ما يعتاش عليه ويقضي به حوائجه، وكان كاتبه (عمر بن اكثم) [٤١].

لما كانت الحالة هكذا فلم يستغرب ان ينحط منصب الوزير وان تفقد الوزارة هيبتها، الامر جعل المشرف على مطبخ الامير البويهي بختيار (إبن بقية) ان يصل الى الوزارة [٤٢]، واصبح يأتمر بأمرهم ولم يتخذ اية مبادرة ادارية او سياسية، واكثر من ذلك كان الوزير معرضاً في أي وقت للإقالة والطرد وهذا يعني السجن له ولحاشيته ومصادرة اموالهم، بل يروى ان معز الدولة البويهي ضرب وزيره ١٥٠ سوطاً أدت الى وفاته في السجن بعد ان خدم سيده ثلاثة عشر سنة وثلاثة اشهر [٤٣]، وقد سمل عضد الدولة عيني وزير ابية ابي الفتح بن العميد وقطع انفه ايضاً لا لسبب الا انه طلب البقاء في بغداد بعد عزم عضد الدولة الذهاب الى الري [٤٤]

وقد فضل الوزير المطهر الانتحار حين فشل في القضاء على الاضطرابات في البطيحة خوفا من العقوبة التي ستلحق به من عضد الدولة ولو انه لم ينج منها بعد وفاته، حيث صودرت املاكه وعوقب أهله وأنصاره [٤٥] فضلاً عن هذا فقد تأثر منصب الوزير بإرادة عدد من المقربين للأمير البويهي، حيث كانوا يسمون (المدبرون للدولة) كونهم يحيطون بالأمير ويؤثرون عليه في تنصيب وعزل الوزراء.

وهكذا نجد ان هذه المدة تعد اسوأ حالة تمر في تاريخ الوزارة حيث لم يكن أغلب الوزراء ممن يتصفون بالكفاية الأدارية والمالية والكتابية لذلك أسرف بنو بويه في تولية الوزراء وعزلهم بشكل سريع، وموقف الوزير من الخلافة بهذه المدة لم يكن لصالح الخلافة سواء كان وزير الخليفة الذي يعينه الامير البويهي، ام وزير الامير نفسه حيث فقدت الوزارات اهميتها.

ولو اجرينا تقيماً لعصري التسلط البويهي والسلجوقي نجد ان العصر السلجوقي احسن نوعاً من العصر البويهي، فاصبح الوزير في العصر السلجوقي اكبر موظف أداري وأكثرهم أهمية الامر الذي انعكست عليه الألقاب مثل الصدر والدستور، وشمل هذا التطور امر الخلافة ايضاً حيث منح الخليفة أمر تعيين وزيره، وهذا لايعني عدم تدخل الامير السلجوقي في أمور وزير الخليفة، فيرى ان السلطان ملك شاه (٤٦٥هـ–٤٨٥هـ) طلب من الخليفة عزل وزيره ابي شجاع الهمداني، ولم يكن من الخليفة الا عزله [٤٦] على ان عزل الوزراء كانت أهم اسبابه الصراع بين وزيري الخليفة والسلطان، ويروي ابن الاثير عن سبب عزل الوزير ابو شجاع محمد بن الحسن سنة ٤٨٤هـ، هو ان رجلاً يهودياً كان يعمل وكيلاً للسلطان يسير في الدرب فصاحة رجلاً من العامة يبيع الحصر، ويبدو ان الطريق لم يكن يتسع لهما فلطم البائع اليهودي على وجهه، الامر الذي دعا اليهودي الى

الذهاب الى وزير السلطان نظام الملك للشكوى على ابي شجاع وزير الخليفة بعد الطلب من الخليفة المقتدي بالله وتم عزله [٤٧].

واختصاصات وزير الخليفة كانت واسعة على الرغم من الصراع المستمر مع وزير السلطان فكان له النظر في الامور المالية، وامر الجند، واستعراض حسابات الدواوين واصلاح ما فسد منها، اما الوزير السلجوقي فكان يشكل نوعاً جديداً من الوزراء، فكانوا يختارون من الشخصيات ذات الثقافة الواسعة التي عرفت بالعلم والاتزان والاطلاع على قوانين الدولة، منهم ابو نصير الكندري وزير طغرلبك، ونظام الملك وزير ألب ارسلان وملكشاه، كما تلقب وزراء الخليفة بألقاب جديدة مثل لقب ابو جهير (فخر الدولة) وابي المعالي لقب فخر الله بن محمد وزير المستنصر، وألقاب اخرى كثيرة مثل (صدر المشرق والمغرب، ومؤتمن الدولة وعون الدين، وجلال الدين سيد الوزراء)[٤٨].

كما تلقب وزراء السلاطين بألقاب مختلفة مثل عميد الملك، ومؤيد الملك، ومعين الدين، وشهاب الدين، وخصصت لهم الرواتب الضخمة والاقطاعات.

في هذه المدة اصبح الوزير بشكل وآخر قدرة مضافة لتقوية مركز الخليفة، حيث برز وزراء أكفاء كان لهم الاثر في تثبيت اركان الخلافة منهم على سبيل المثال، رئيس الرؤساء ابو القاسم علي بن محمد بن جهير وزير المستظهر بالله ٤٨٧هـ، الذي قاوم بعدة اشكال النفوذ السلجوقي وحد من سلطانهم والذي استوزر عدة وزارات لكفايته، فقيل له كل من ردت اليه الوزارة تشرف بها، الا انت فلما رددت لها تشرفت بك [٤٩]، وجلال الدين ابو علي الحسن بن علي بن صدقة وزير المسترشد بالله ٥١٢هـ وهو وزير الراشد بالله ايضاً ٥٢٩هـ، والذي عرف عنه بانه كان ذو حزم ورأي ودين وعقل وكان من الدهاة وله علم أدب وثقافة، وكانت لا تأخذه بالله والحق لومة لائم [٥٠]، قاوم السلطان ووزيره اللذان حاولا الانتقاص من الخليفة، واليه يعود الفضل في تقوية سلطة الخليفة الراشد بالله [٥١]، وكذلك وزير المستنجد بالله ٥٥٥هـ محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر الذي كان على رأس الجيش الذي حارب الباطنية وقتل في هذه المعارك[٥٢]، وأدى الوزير ابن هبيرة دورا كبيرا في تثبت واعلاء شأن الخلافة فيروى ان السلطان مسعود اراد الاساءة الى الخلافة والتطاول على الخليفة المكتفي وكان ابن هبيرة حاضراً فوقف للسلطان قائلاً سأدعوا عليك كما دعى نبينا (صلى الله عليه وسلم) على (رعل ذكوان)[٥٣] شهراً وكان ابن هبيرة من اعلام الشافعية وذا صلاح ودين،، ولما كان اليوم الثلاثين مات السلطان مسعود، كما انه كان على قيادة الجيش من اجل القضاء على النفوذ والتسلط السلجوقي في الحلة وواسط وبغداد ومناطق تكريت [٥٤].

وكذلك اشتهر الوزير ابن القصاب ببراعته في قيادة الجيوش ونشر نفوذ الخلافة في الاحواز فوصل خوزستان وتستر وهمدان، عام ٥٧١هـ، وقاتل جنود خوارزم [٥٥]

وبعد ان قوض نفوذ التسلط السلجوقي وقضي عليه زادت مكانة الخليفة ونفوذه وكذلك مكانة الوزير، وزادت ألقابه واصبح الوزير نائباً للخليفة، وازدادت صلاحياته ليتولى النظر بالدواوين وعزل وتولية صدورها، وتبليغ القضاة بأمر الخليفة بتوليهم وخلعهم، واخذ البيعة للخليفة، واستعراض الجيوش وقيادة العسكر لقمع الفتن والاضطرابات، واستقبال الامراء من البلاد المجاورة، وظهر لهم نواب لمساعدتهم في تسيير الامور وازداد عدد النواب ليصل في عهد الناصر ٥٧٥ – ٦٢٢هـ الى تسعة نواب للوزير [٥٤].

نظام الوزارة

تحدث الفقهاء عن نوعين من الوزارة مبنية على اساس نوع العون والمؤازرة للأمام فقسمت الى :

1-وزارة تفويض

وهي ان يستوزر الامام من يفوض له تدبير الامور برأيه وامضائه على اجتهاده، وهي اجل الولايات بعد الخلافة فهو ينظر بكل ما ينظر اليه الخليفة [٥٥]، اما اختصاصاته فهي :

- يجوز له الحكم بنفسه، وتقليد احكام.
- يجوز له ان ينظر بالمظالم.
- جواز توليه الجهاد بنفسه، او يقلد من يتولاه.
- يباشر امور الدولة بنفسه او يستنيب من يباشرها.
- ويصح للوزير ما صح للأمام ما عدا (ولاية العهد، وإمامة الامة، وعزل من يقلده الامام) [٥٦].

وزارة التنفيذ

والنظر فيها مقصور على رأي الامام وتدبيره، والوزير فيه واسطة بينه وبين الرعايا، يؤدي عنه ما امر، وينفذ ما ذكر، ويمضي ما حكم، وتجيز له تقليد الوزراء وقيادة الجيوش [٥٧]، أما اختصاصاته فهي :

- الامانة باعتبارها من اهم صفاته.
- صدق اللهجة حتى يوثق فيما يؤديه.
- العفه وقلة الطمع.
- ان لا يكون بينه والاخرين عداوة وشحناء.
- ان يكون صاحب فطنة وذكاء حتى لا تدلس عليه الامور.
- ان تكون عنده ذاكرة لما يؤديه الخليفة.
- ان لا يكون من اهل الأهواء، فيخرجه الهوى عن الحق.
- الحنكة والتجربة التي تؤدي الى صحة الرأي.
- يجوز لوزير التنفيذ ان يكون من اهل الذمة [٥٨].

الخاتمة

يمكننا وفي ضوء ما تقدم من مباحث تضمنها البحث أن نستلخص ما يلي:

1- أن كلمة الوزارة لفظة عربية وكما جاء بأصطلاحها اللغوي، كما انها وردت في القرآن الكريم في اكثر من موضع تأويلاً، وأنها وردت بشكل صريح بقوله تعالى: ((وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في امري)).

2- أن نظام الوزارة عربي الاصل فهو موجود قبل الاسلام بأسماء تختلف عن هذه اللفظة، حيث كان متولي هذا المنصب سمى بـ(الردافة).

3- نشأت نظرية الوزارة في الدولة العربية الاسلامية من اوليات بسيطة وتدرجت بالتطور اسوة بالنظم الاخرى كالخلافة والولاية وغيرها.

4- ظهرت في العصر الاموي عدة وظائف مثل (صاحب البريد – صاحب الطعام – وظيفة المشاور – المعين في امور القبائل والعصائب) وكان عملها اشبه بعمل الوزير.

5- كان من واجبات الوزير النظر في اصول التدبير والمفاوضات وسائر امور الحمايات والثغور والمطالبات وما يتبعها النظر بديوان الجند وحزمت العطايا والجبات لهم.

6- شهد العصر العباسي بداية ظهور منصب الوزارة بشكله العملي على الرغم من الغموض في وضع الوزارة بسبب التصادم بين الوزير والخليفة.

7- برز في العصر العباسي عدة وزراء ومن بينهم أبو ايوب المورياني والربيع بن محمد بن الربيع وهم من وزراء الخليفة ابو جعفر المنصور والوزير يعقوب بن داود وهو من وزراء الخليفة المهدي والذي بقي بالوزارة لمدة اربعة سنوات حتى تبين للناس أنه صاحب السلطة والامر في الدولة.

8- تطور منصب الوزير في عهد الخليفة الرشيد وأتسعت وازدادت اختصاصاته مما جعل الامور عامة تحت اشرافه، كما استعان الخليفة الرشيد بوزراءه من آل برمك ومنهم يحيى وولديه الفضل وجعفر.

9- كان الوزير الفضل بن ربيع يتمتع بصلاحيات واسعة في عهد الامين حتى سمي بذي الوزارتين (أي الحرب والتدبير)، وكان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات من الوزراء الذين جمعوا بين وظيفتي الوزارة والكتابة في عهد الخليفة المأمون.

١٠- شهدت المدة الاولى من الخلافة العباسية تطوراً كبيراً في وظيفة الوزير ودوره الايجابي في المساعدة والاشراف على ادارة الدولة والتي تعد عوناً لمساعدة الخلافة.

١١- شهد عصري التدخل الفارسي والتركي وأستبدادهم بالسلطة أثاراً سلبية في تهديد أمن الدولة من خلال تأمر الوزراء أمثال بني برمك والربيع بن سهل.

١٢- كان الاتراك هم من يعين ويعزل الوزراء الأمر الذي أضعف مركز الخلافة والوزارة بحيث اصبح الوزير لايملك سوى الامور الادارية التي تصب في مصلحتهم.

١٣- شهدت الوزارة عصرها المظلم في عصر التسلط الاجنبي (الفارسي والتركي والبويهي والسلجوقي) حيث لم يكن اغلب الوزراء ممن يتصفون بالكفاءة الادارية والكتابية والمالية، وكذلك يتم توليتهم وعزلهم لفترات قصيرة حتى أنه لم يتجاوز بعضهم أياماً قليلة.

١٤- هناك نوعين رئيسيين من الوزارة وهما وزارة تفويض وهي أنه يستوزر الخليفة من يفوض له تدبير الامور برأيه، فهو ينظر بكل ما ينظر اليه الخليفة، ووزارة تنفيذ والوزير فيه واسطة بينه وبين الرعايا يؤدي عنه ما أمر وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم.

المصادر والمراجع

1- سورة القيامة، الآية ١٠.

2- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ)، مختار الصحاح، تحقيق محمد خاطر، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٥م، ج١، ص٢٩٩.

3- سورة محمد، الآية ٣.

4- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق ابراهيم الزيبق، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م، ج٥، ص٢٨٣.

5- سورة طه، الاية ٢٩.

6- ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافيري (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجبل، بيروت ٤١١هـ، ج٥، ص٢٥٣.

7- ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٤٠٠هـ، ج٤، ص٢٣٥.

8- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الامم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٦٧م، ج٦، ص١٤.
9- اليعقوبي، احمد بن جعفر (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٧٧.
10- ابن الاثير، علي بن ابي الكرم بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م، ج١، ص٥١٢.
11- ابن الاثير، الكامل، ج١، ص٥١٣.
12- القلقشندي، احمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ)، مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، مطبعة الكويت، الكويت ١٩٨٥م، ج١، ص٢٩٠.
13- المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٩.
14- القلقشندي، مآثر الاناقة، ج١، ص٢٩١.
15- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٣م، ج١، ص٢٣٨.
16- ابن خلدون: المقدمة، ص٢٣٩..
17- ابن خلدون: المقدمة، ص٢٤٠.
18- ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦٥.
19- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥٣.
20- ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، بيروت،د.ت، ص١٥٥.
21- الجهشباري، أبي عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط١، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٩٧.
22- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم حتى سنة ٢٥٧هـ، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر، دار الكتب، بيروت ١٩٩٢م، ج٨، ص٣٣٢.
23- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٤٧.
24- ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٣١.
25- الطبري، تاريخ، ج٨، ص٢٣٣.
26- عمر، فاروق واخرون، النظم الاسلامية دراسة تاريخية، منشورات دار الحكمة، بغداد ١٩٨٧م، ص٤٩.
27- ابن خياط، ابو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق ١٣٩٧هـ، ج١، ص٤٧١.
28- ابن خلكان، ابو القاسم شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وأنباء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م، ج٥، ص١٠١٠.
29- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥٠٧.
30- ابن طباطبا، الفخري، ص٢٤٢.
31- ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٧٥ – ١٧٦.
32- ابن الاثير، الكامل، ج٨ – ص ١٦٤.
33- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٨٠.

34- ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص١٠٧.
35- اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم الاسلامية، المكتبة الوطنية ١٩٨٨م، ص٩٥.
36- ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٩١ – ١٩٢.
37- اليوزبكي، النظم الاسلامية، ص٩٦.
38- ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص١٤٧.
39- ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣٥٧.
40- ابن الاثير، الكامل، ص٣٢٩.
41- ابن الاثير، الكامل، ج٢، ص٢٠٨.
42- الهمداني، ابو الفضل محمد بن عبد الملك بن ابراهيم (ت ٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨م، ج١ ، ص٢١٢.
43- ابن الاثير، الكامل، ج٧،ص٢٧٨.
44- ابن الاثير، الكامل ، ص٢٩١.
45- ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢١٢.
46- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الكويت ١٩٤٨م، ج٢، ص٢٢٩.
47- ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٤٦٦.
48- فاروق عمر، النظم الاسلامية، ص٦٤.
49- ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٣٥.
50- الذهبي، العبر، ج٤، ص٥١.
51- ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٩٨.
52- ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٤٧١.
53- رعل ذكوان، هو رجل جاء مع قومة بني لحيان الى النبي (صلى الله علية وسلم) ليبايعوا = فامدهم الرسول (صلى الله علية وسلم) بسبعين رجلاً من القراء وعند عودتهم ووصولهم الى بئر معونة غدروا بهم وقتلوا منهم رجالاً (ابن حجر، ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)،فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عب الباقي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩، ج٦، ص١٨١).
54- السيوطي، تاريخ السيوطي، ج١، ص٤٤٠.
55- القلقشندي، مآثر الاناخة في معالم الخلافة، ج٢، ص٥٨.
56- فاروق عمر، النظم الاسلامية، ص٦٦.
57- القلقشندي، مآثر الاناخة، ج١، ص٧٥.
58- الماروردي، الاحكام السلطانية، ص٢٥.
59- القلقشندي، مآثر الاناخة، ج١، ص٧٦.
60- اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية، ص٩٩.